كانوا هنا...

كانوا هنا حيث كان الخصبُ والمطرُ ... ثم انثنوا، وشذى الأشواق ينتظرُ
كانوا هنا نبض قلبٍ ضمّ عاشقةً ... ثم انحنى بشرخ المجرى ويختصرُ
كانوا إلى سدرة الجوزاء ألويةً ... يحدّثُ الدهر عنها الشمسُ والقمرُ
وطوّقوا في بلاد الله قاطنةً ... (وأخلفوا الأرض من أطراف ما انتزروا)
وساوروا الليل في مسرى عزائمهم ... فأشرقوا والضحى يندى ويبتهرُ
خاضوا البحار بحاراً في تموّجها ... وطاولوا قمماً ما نالها البشرُ
وقفوا على شاطئ (الأطلنط) في لهفٍ ... والموج يستشرفُ الآتي ويعتذرُ
(لو خلف هذا) وذوى الصوتُ منهمراً ... في ساحة المجد يستعلي ويزدهرُ
وأشرف الفجرُ من علياء غُرّته: ... يا أفقُ ماذا هنا؟ يا نجمُ ما الخبرُ؟
هنا تماهوا كأزهار الربيع فضَوا ... كالغيث يستنهض الغبرا ويختصرُ
وجوهروا الرمل أمجاداً وأزمنةً ... واستسهلوا الصعب حتى أورق الحجرُ
كانوا هنا وذوى صوتي وحاصرني ... في غمة الموج هذا الجرحُ والسهرُ
والقوم حولي خمولٌ لا حدود له ... أفواههم اللهو والتسمين والخدرُ
نظرتُ حولي وقد خارت عزائمهم ... وزادني ما أعاني العجزُ والضجرُ
نظرتُ حولي وغاب الوعي منشطراً ... وليس فكرٌ ولا سمعٌ ولا بصرُ
لكنه القلبُ في الحالين يخبرني ... أن ليس في ساحتي (سعدٌ) ولا (عُمَرُ)
والبحرُ خلفي هديرٌ ليس يحجزهُ ... إلا الرمالُ يُناغيها وينحسرُ
هممتُ يا قوم هبّوا دونما كللٍ ... من يرهب الموت لا يُقضى له وطرُ
خوضوا المنايا كما قد خاضها نفرٌ ... لله ما جاهدوا، لله ما نذروا
صبّوا الدماء على أعدائهم حمماً ... وسورةُ الموت تستعري وتدّخرُ
ويبدرون بقلب الأرض سنبلةً ... تباغت الفجر في ميعادها النُّذُرُ

* * *

هبّوا، وذاب الهوى المجروح في شفتي ... ووقدةُ الحزن في الأضلاع تستعرُ
إلى غدٍ، ومضى دمعي إلى أملٍ ... ورحمةُ الصمت في الأحواء تنفجرُ
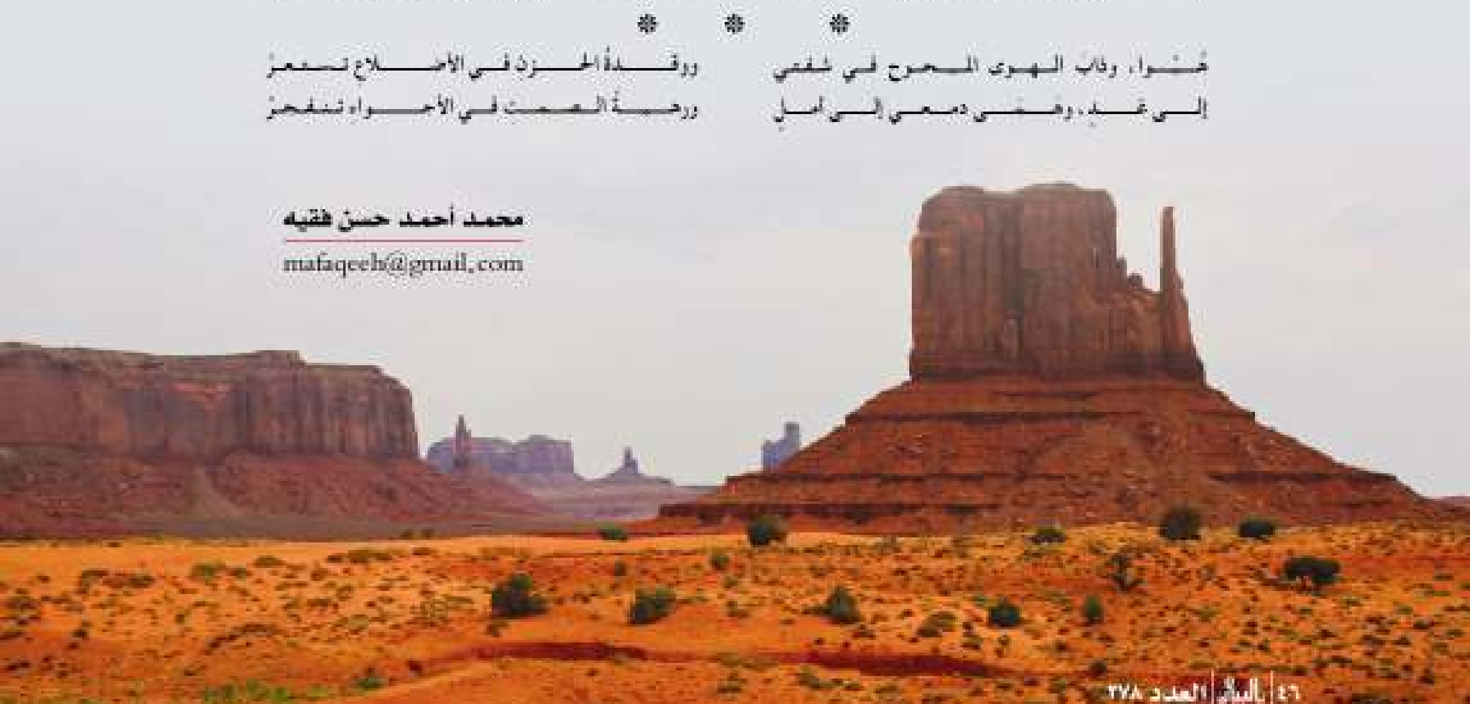
محمد أحمد حسن فقيه
mafaqeeh@gmail.com